

الصبورة ، التي تشف عن مشاعر صوفية . التعب
والإرهاق مع الابتسامة . لناخذ صورا من
الطائرات ، نلاحظ ان الاطفال قد اظهروا
جوهرها العدائي ، نواياها المدوانية ، فجاءت
برغبة اسطورية !

(1)

« يبدأ الفن بمعناه الدقيق بعملية التحديد ، يبدأ
بالطريق القائم بين الغموض والتخطيط الخارجي .
ومن المؤكد اننا نجد ان النوع الاول من الفنون
تاريخيا — من رجال الكهوف — يبدأ بالخط
الخارجي ، فقد بدأ الفن بالرغبة في رسوم خطوط
ما ، وما زال يبدأ هذه البداية عند الطفل... » (٤٦) .
لقد وجدنا الاطفال الفلسطينيين لا يشذون عن
القاعدة العامة ، التي تحكم رسوم الصغار
عموما ، ان الخط هو جوهر الرسم عند الاطفال ،
بدأ تحت وطأة تأثيرات بيولوجية ، مشوشا ،
عشوائيا ، ثم آليا — موجيا ثم رحويا ، ويصبح
أكثر قصدية ، فيتنوع ويتقطع ويتحول الى رموز ،
الى ان تكتمل سيطرة الطفل على اصابعه ، ويأخذ
الخط طوع ارادة صاحبه فيظهر اكثر وعيا ، اكثر
« وظيفية » .

نجد في لوحة « الخيم » ، رسم عنان ، ٦ سنوات ،
دباية تحول الخط لخدمة فكرة في ذهن الطفل . نجد
خطوطا رمزية ، متنوعة ، بدايات تكسر الخط ،
مع بقايا شيء من العشوائية . فقد اكتشف الطفل
الخيم من خلال كتل بيضوية ، شبه دائرية ، عبر
من خلالها عن هيئة الخيم المتراسة . ولانه يعرف
اكثر عما يحتويه هذه الكتل — الخيام ، فقد ضمنها
كتل بيضوية صغيرة اخرى ، انها سكان الخيم .
ويعبر لوحة « كتابة » عن ذات المرحلة ، غير ان
المدرسة خلفت له رموزا شكلية لم يكن يعرفها
كتابة : ارقام ، احرف ، اشكال فطرية ، غير انه
لا يميز فيها سوى طابعها العام — شكلها ،
نيكرها ، يصفها الى جانب بعضها البعض افتقا
ورأسيا . وبعض « السطور » تضمنت ثمار تفاح
مختصرة في شكل دائري ملون ، ثم خط رأسي قصير
اعلاها . ثم حروف : ب ، ت . صفوف تضمنت
ارقام : ٣٥٠ (مقلوبة) . ، ١ ، ٢ ، ١ ، ٣
(مقلوبة) ، ثم حروف ت ، ب ، ثم ثمرتا تفاح .
صفوف ثالثة واربعة تضمنت ارقاما واحرفا واشكالا
بشرية في غاية الإيجاز والاختزال : شمس ، هلال
قمر ، صفور ... الخ .

يكسب الخط في مرحلة نضج تالية ملامح معينة .
خطوط مختصرة ، موجزة ، بليغة ، مكثفة بحدودها ،
تنثنى حيناً وتتكرر في حين آخر ، ولكن بخدمة هدف
يسيطر على ذهن الطفل . لنرى نموذجا للتعبير
الخطي الذي يعطي احساسا بوظيفة الخط في هذه
المرحلة ، انه يمتد ويتناول فوق النموذج الموضوعي
— الواقعي بصريا ، ليعني شيئا محددا . ليعبر عن
فكره ، مدرك ، احساس ملح . اننا نرى في احدى
اللوحات طفلة تقف فوق كرسي اخذ شكلا مختصرا
جدا . غير انه ليس موضع شبهة او التباس ، انه
كرسي كما لا يمكن ان يكون شيئا آخر . نلاحظ
هنا ان الطفلة متضائلة الحجم ، قصيرة الساقين ،
ليس ثمة شعر (ولماذا الشعر هنا ، لا حاجة
اليه) ، اما الساعدان فهما طويلان بما يكفي
لقطف ثمرة تفاح متدللة . هنا نلاحظ ان الخط يوظف
لخدمة غرض محدود . لقد ابرز لنا الرسم اصابع
اليد بصورة واضحة ، لان لها علاقة بالقطف ، بتناول
ثمرة تفاح . وبذلك كان الطفل منسجما مع احساسه
بغرض الصورة . فالحاجة الى الساعدين تبرر
(المبالغة) في تطويلهما ، كما ان الساقين قد بولغ
في تقصيرهما ايضا . لماذا ؟ لان الطفل احس بعجز
ساقيه على اصاله الى ثمرة التفاح ، فيما كان
الكرسي يمثل في ذهنه ، أداة الرفع ، العلو .

ثمرة صورة ، عبر طفل فيها عن ذعره ، من خلال
توحده ضمن مساحة الورقة ثم احاط نفسه بزوايا
من الخطوط الرخوة الى درجة خانقة ، فيما تظهر
طائرة من بعيد ، تظهر رغم اختزال شكلها ، مصدر
خوفه . ولطفل آخر ، عادل ، لوحة تعبر عن ذات
الفكرة ، الخوف من الطائرات ، حيث توسط
شخصان الصورة ، ثم احاطهما بالخطوط التي
اتصلت بطوق شبه دائري من الخطوط يحيط بهما .
لقد وجدنا ان هذا الطوق من الخطوط قد نقل
احساسه بحركة الطائرات ، وبقدرتها على
الحاصرة .

وتقدم الطفلة جلييلة (١١ سنة) نموذجا عن
احساسها الغريزي بقدره الخط على تشكيل كتلة
بصورة حيوية . الخط في لوحتها ، نموذج ل احساس
الطفل بقيمة الخط في أداء وظيفة ما . نلاحظ مثلا
امتداد الخط ، انحنائه ، ثم تكسره في نقاط معينة ،
معبرة بذلك عن كتلة صلبة بارزة ، مثيرة للفضول ،
دون أدنى حد من التلوين ، ثم نلاحظ تقاطع
الخطوط ودخولها في صلب الشكل ، مكسبة